يطلق «عارياته» في دمشق

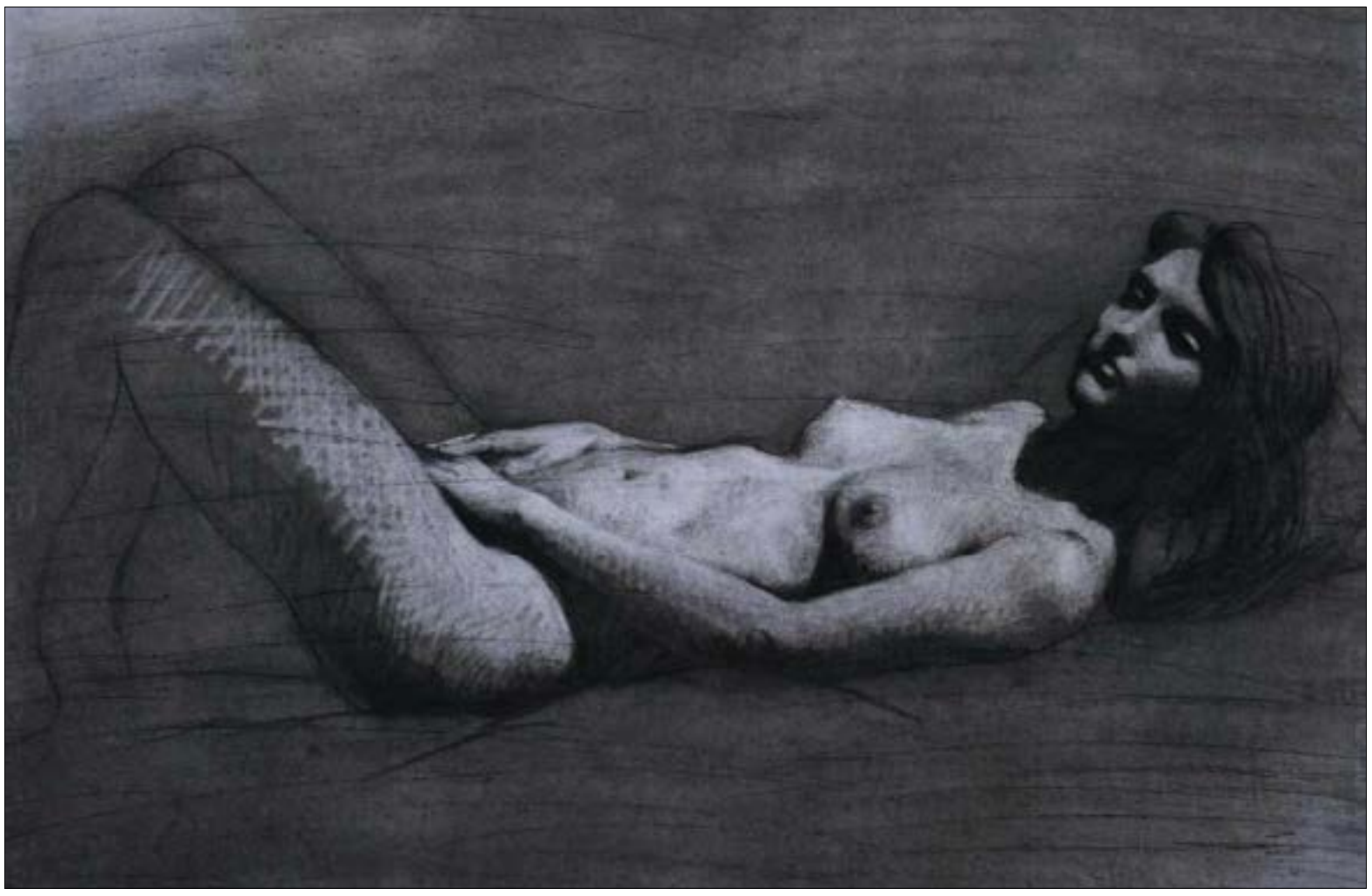

من دون عنوان (فحم على ورق - 50 × 69 سنتم ـ 2015)

من دون عنوان (فحم على ورق - 54 × 76 ـ 2016)

الطمأنينة بالجمال

أكسم طلاع *

هيأت نفسي لمساء دمشقي بارد حيث وجبة الوخزات الجميلة التي أتوقعها في معرض يوسف عبدلكي الذي أقيم في «غاليري كامل». هذا الفنان الذي تسبق حضوره التوقعات بملاقاة لوحات كبيرة مشغولة بالفحم تتناول المفارقات المؤلمة بين العصفور والسكين وهياكل الأسماك العظمية ووجبات البؤس التي تفعل فعل الحزن العميق والغربة الموحشة في الروح الإنسانية، ربما وجد واحة جديرة بأن تحمل بعض خلاص الفنان ألا وهي الأنثى وتجليات الجسد الإنساني في روعة الخلق وروعة الفنون التي تذهب في دلالات انثناءات الخطوط وتناهي الضوء وصولاً إلى عتمة يلج الرائي فيها فوارق الحياة ودرجات الأثر الشفيف. طبيعة صامتة بالإضافة إلى أعمال أخرى، تتغنى بالأنوثة والجسد هي موضوعات المعرض الجديد الذي أعادها الفنان إلى دائرة الحضور والألق. ربما لم يعد من المجدي زج الجمال في السياسة وخرائط الأحزاب والأوطان التي ضاقت بمشاريع آلامها. يكفي الجمال بذاته أن يكون مقاوماً. ولربما دوره يكمن في محاولة تدعيم النفس الإنسانية وتعزيز الحياة في ملامح أنهكتها الحرب وأفزعت محبيها وأحبطتهم، فلم يعد هناك من خلاص إلا بالجمال والمرأة والفن.

عبدلكي فنان تميّزه أشياء كبيرة أولها إمكانياته الفنية العالية الثراء والشجاعة في طرح الأفكار وإخراجها ومعالجتها بالأبيض والأسود. «يكفي قلم الرصاص لرسم أي فكرة» هكذا هو الفنان المتمكن من أدواته القادرة على فعل التأثير وبناء الوعي عند المتلقي. ليست المتعة هي غاية العمل بقدر الوصول بالمتلقي إلى فضاءات الفنان الذهنية ومراميه الهادفة لتأليف وعي جديد للحياة ووخز بلادة الكائنات.

* تشكيلي سوري

أكثر ألفة ودهشة في آنٍ. رهان نشأ من إعلاء شأن ما هو متروك جانباً، فالعنصر الذي يسيطر على فضاء اللوحة بمفرده، يشكّل إحالة بصرية صريحة، إلى حياة كانت تنبض قبل قليل في هذه المساحة الصامتة، فهناك ما هو مؤجل على الدوام، تقترحه ظلال الأبيض والأسود بأطياف لا مرئية، تتكثّف بإيماءة صغيرة، تذهب باتجاهين متناقضين، هما الحضور والغياب. وفي السياق السردي ذاته، يمكن رصد محرّضات أخرى تنطوي على صوغ حياةٍ أخرى لكائناته، لكن من زاوية نظر شعرية صرفة، بشحنة مباغتة تتسلل بمهابة من منطقة الظل. ذلك أن رهافة قلم الفحم، لا تتوقف عند بهجة الاكتشاف والرصد والمعاينة، إنما تحلّق عالياً في إعادة الاعتبار إلى الفراغ، والمراهنة على إضاءة الكتلة المركزية بخطوط

إحداهن اعتذرت فجأة عن عدم الجلوس عارية في مشغله، خوفاً من غضب شقيقها

صارمة ومتقشفة، تمنحها بريقاً إضافياً، كما تكشف عن إيقاعاتها الداخلية. ووفقاً لما يقوله التشكيلي المصري عادل السيوي، فإن هذا الفنان «طبّاخ ظلال ماهر، يعرف أولاً، تلك المنطقة التي تشعل الظلال فيها العواطف وتخطف العين، ولكنه يدرك أيضاً، أين تقع تلك النقاط التي يشتبك عندها النور بالظلمة، بعيداً من تصادم الأضداد».

هكذا يزاوج عبدلكي بمهارة بين بلاغة الزهرة المتفتحة للتو والجسد العاري في ارتباكاته، وذلك بضربة فحم واحدة مكتفياً ببلاغة الأبيض والأسود فقط، في تبرير ضرورة «حماية الجمال من التلف والإهانة واللامبالاة والنسيان».

* معرض يوسف عبدلكي: حتى 15 كانون الثاني (يناير) 2017 ـ «غاليري كامل» دمشق ـ للاستعلام: 00963116112965

اللثام عن كنوزٍ مخبوءة قسراً.

لكن ماذا يفعل رسّام سوري في غياب موديله؟ يوضح يوسف عبدلكي بأنّ الموجة المحافظة التي اجتاحت المجتمع العربي، منذ نهاية سبعينيات القرن المنصرم، منعت الموديل في أروقة كليات الفنون سواءً في بغداد أو دمشق أو القاهرة، مما أدى إلى غياب المنهجية في رسم الموديل «العاري»، إذ لم يعد متاحاً للتشكيلي العربي أن يرسم الجسد تشريحياً، وفي المقابل لا يمكن الركون إلى هذا الغياب. بعد بحثٍ مضنٍ ويأس طويلين، وجد عبدلكي مبتغاه، لكن معظم ممن وافقن على رسمهن لم يواصلن جلسات الرسم بسبب السفر أو الهجرة أو الخشية من فضيحة. يذكر أنّ إحداهن اعتذرت فجأة عن عدم الجلوس عارية في مشغله، إثر غضب شقيقها لاكتشافه بأنها تدخّن السجائر في غرفتها سرّاً «فما بالك لو علم أنها موديل عار، سيذبحها بالتأكيد». سبع موديلات تعاقبن على الحضور والغياب إلى أن اكتمل هذا المشروع الحيوي بجسارة قلم فحم لطالما انتظر هذه اللحظة، لإعادة الفن إلى مجراه الطبيعي من دون دلالاته التي كان يلجأ إليها الآخرون مجبرين تحت ضربات معاول المنع والتحريم واحتضار القيم الباسلة.

هكذا تراكمت، عقداً وراء عقد، أوراق نعي الفن الطليق ونزهات العري المنوعة. لم ينسَ تشكيليو المحترف السوري ضجة الاستنكار التي واكبت لوحة رسمها الرائد ناظم الجعفري قبل عقود لشقيقته وهي ترتدي «ديكولتيه» يبرز جزءاً من صدرها، عبوراً إلى اختفاء منحوتة تدمرية من مدخل المتحف الوطني في دمشق، وإشاعة تسمية قسم النحت في كلية الفنون الجميلة بقسم «الأصنام»، إلى تغطية تمثال عارٍ لأحد الآلهة القديمة بوشاح بقصد إخفاء «عورته»، وصولاً إلى محاكمة أحد أساتذة كلية الفنون بتهمة تدريس فن العاري لطلابه تحت بند «مراعاة الذوق العام». ستعجز هالة الفيصل عن عرض لوحاتها العارية في صالات دمشق بذرائع مختلفة، كأن الإنسان يحمل خطيئته وآثامه في جسده الذاتي، وفقاً لما يقوله أسعد عرابي الذي واجه محنة مشابهة في تلقي أعماله، واصفاً ما يحدث بعبارة للألماني جورج بازيلتز «إن المتفرّج غير المدرَّب لا يرى في اللوحة العارية إلا فضيحة أخلاقية».

سنختزن أطياف عاريات يوسف عبدلكي في الذاكرة طويلاً، إذ ستحط هذه الأعمال في الربيع المقبل في غاليري «كلود لومان» الباريسية، ولن تعود غالباً إلى مسقط رأسها ثانيةً، في احتفالية كبرى يرافقها كاتالوغ شامل لأعمال وتجربة هذا التشكيلي الذي طالما كانت معارضه حدثاً استثنائياً في مدن الإثم والأقنعة والنعاس.

على الضفة الأخرى من المعرض، سنجد رهاناً إضافياً على مقترحاته في شحن الطبيعة الميتة بعناصر وتقنيات تضعها في مقامٍ آخر